

## لطائف المعارف

بيان معنى لا عدوى .

و الصحيح الذي عليه جمهور العلماء : أنه لا نسخ في ذلك كله و لكن اختلفوا في معنى قوله : [ لا عدوى ] و أظهر ما قبل في ذلك : أنه نفي لما كان يعتقدده أهل الجاهلية من أن هذه الأمراض تعدي بطبعها من غير اعتقاد تقدير [ لذلك ] و يدل على هذا قوله : [ فمن أعدى الأول ؟ ] [ يشير إلى أن الأول إنما جرب بقضاء [ ] و قدره فكذلك الثاني و ما بعده خرج الإمام أحمد و الترمذي [ من حديث ابن مسعود قال : قال رسول [ ] صلى [ ] عليه و سلم : لا يعدي شيئاً قالها ثلاثاً فقال أعرابي : يا رسول [ ] النقبة من الجرب تكون بمشفر البعير أو بذنبه في الإبل العظيمة فتجرب كلها ؟ فقال رسول [ ] صلى [ ] عليه و سلم : فما أجرب الأول لا عدوى و لا هامة و لا صفر خلق [ ] كل نفس و كتب حياتها و مصابها و رزقها ] فأخبر أن ذلك كله بقضاء [ ] و قدره كما دل عليه قوله تعالى : { ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها } فأما نهيه صلى [ ] عليه و سلم عن إيراد الممرض على المصح و أمره بالفرار من المجذوم و نهيه عن الدخول إلى موضع الطاعون فإنه من باب اجتناب الأسباب التي خلقها [ ] تعالى و جعلها أسباباً للهلاك أو الأذى .

و العبد مأمور باتقاء أسباب البلاء إذا كان عافية منها فكما أنه يؤمر أن لا يلقي نفسه في الماء أو في النار أو يدخل تحت الهدم و نحوه مما جرت العادة بأنه يهلك أو يؤذى فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم أو القدوم على بلد الطاعون فإن هذه كلها أسباب للمرض و التلف و [ ] تعالى هو خالق الأسباب و مسبباتها لا خالق غيره و لا مقدر غيره و قد روي في حديث مرسل خرجه أبو داود في مراسيله أن النبي صلى [ ] عليه و سلم : مر بحائط مائل فأسرع و قال : [ أخاف موت الفوات ] و روي متصلًا و المرسل أصح و هذه الأسباب التي جعلها [ ] أسباباً يخلق المسببات بها كما دل عليه قوله تعالى : { حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات } و قالت طائفة : إنه يخلق المسببات عندها لا بها .

و أما إذا قوي التوكل على [ ] تعالى و الإيمان بقضائه و قدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتماداً على [ ] و رجاء منه أن لا يحصل به ضرر ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك لا سيما إذا كان مصلحة عامة أو خاصة و على مثل هذا يحمل الحديث الذي خرجه أبو داود و الترمذي أن النبي صلى [ ] عليه و سلم : أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصة ثم قال : [ كل باسم [ ] ثقة با [ ] و توكلنا عليه ] و قد أخذ به الإمام أحمد و قد روي نحو ذلك عن عمرو

ابنه عبد ا و سلمان Bهم و نظير ذلك ما روي عن خالد بن الوليد Bه : من أكل السم و منه  
: مشى سعد بن أبي وقاص و أبي مسلم الخولاني بالجيش على متن البحر و منه : أمر عمر Bه  
لتميم حيث خرجت النار من الحرة أن يردّها فدخل إليها في الغار التي خرجت منه فهذا كله  
لا يصلح إلا لخواص من الناس قوي إيمانهم با و قضائه و قدره و توكلهم عليه و ثقتهم به و  
نظير ذلك دخول المغاور بغير زاد لمن قوي يقينه و توكله خاصة و قد نص عليه أحمد و اسحاق  
و غيرهما من الأئمة و كذلك ترك التكسب و التطيب كل ذلك يجوز عند أحمد لمن قوي توكله فإن  
التوكل أعظم الأسباب التي تستجلب بها المنافع و تدفع بها المضار كما قال الفضيل : لو  
علم ا إخراج المخلوقين من قلبك و تستدفع لأعطاك كل ما تريد و بذلك فسر الإمام أحمد  
التوكل فقال : هو قطع الإستشراف باليأس من المخلوقين قيل له : فما الحجة فيه ؟ قال :  
قول إبراهيم عليه الصلاة و السلام لما ألقى في النار فعرض له جبريل عليه السلام فقال :  
ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا .

فلا يشرع ترك الأسباب الظاهرة إلا لمن تعوض عنها بالسبب الباطن و هو تحقيق التوكل عليه  
فإنه أقوى من الأسباب الظاهرة لأهله و أنفع منها .

فالتوكل : علم و عمل و العلم : معرفة القلب بتوحيد ا بالنعف و الضر و عامة المؤمنين  
تعلم ذلك و العمل : هو ثقة القلب با و فراغه من كل ما سواه و هذا عزيز و يختص به خواص  
المؤمنين .

و الأسباب نوعان : أحدهما : أسباب الخير : فالمشروع أنه يفرح بها و يستبشر و لا يسكن  
إليها بل إلى خالقها و مسببها و ذلك هو تحقيق التوكل على ا و الإيمان به كما قال تعالى  
في الإمداد بالملائكة : { و ما جعله ا إلا بشرى و لتطمئن به قلوبكم و ما النصر إلا من عند  
ا } و من هذا الباب الإستبشار بالقال : و هو الكلمة الصالحة يسمعها طالب الحاجة و أكثر  
الناس يركن بقلبه إلى الأسباب و ينسى المسبب لها و قل من فعل ذلك إلا وكل إليها و خذل  
فإن جميع النعم من ا و فضله كما قال تعالى : { ما أصابك من حسنة فمن ا } { و ما بكم  
من نعمة فمن ا } : .

( لا نلت خيرا ما بعيت و لا عداني الدهر شر ) .

( إن كنت أعا أن غير ا ينفع أو يضر ) .

و لا تضاف النعم إلى الأسباب بل إلى مسببها و مقدرها كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى  
ا عليه و سلم : [ أنه صلى بهم الصبح في أثر سماء ثم قال : أتدرون ما قال ربكم الليلة  
؟ قال : أصبح من عبادي مؤمن بي و كافر فأما المؤمن فقال : مطرنا بفضل ا و رحمته فذلك  
مؤمن بي كافر بالكوكب و أما الكافر فقال : مطرنا بنوء كذا و كذا فذلك كافر بي مؤمن  
بالكواكب ] و في صحيح مسلم [ عن أبي هريرة Bه عن النبي صلى ا عليه و سلم قال : لا عدوى

و لا هامة و لا نوء و لا صفر ] و هذا مما يدل على أن المراد نفي تأثير هذه الأسباب بنفسها من غير اعتقاد أنها بتقدير ا [ و قضائه فمن أضاف شيئاً من النعم إلى غير ا [ مع اعتقاده أنه ليس من ا [ فهو مشرك حقيقة و مع اعتقاد أنه من ا [ فهو نوع شرك خفي .

النوع الثاني : أسباب الشر : فلا تضاف إلا إلى الذنوب لأن جميع المصائب إنما هي بسبب الذنوب كما قال تعالى : { و ما أصابك من سيئة فمن نفسك } و قال تعالى : { و ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم } فلا تضاف إلى شيء من الأسباب سوى الذنوب : كالعدوى أو غيرها و المشروع : اجتناب ما ظهر منها و اتقاؤه بقدر ما وردت به الشريعة مثل : اتقاء المجذوم و المريض و القدوم على مكان الطاعون و أما ما خفي منها فلا يشرع اتقاؤه و اجتنابه فإن ذلك من الطيرة المنهي عنها